Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية

الأصول الفكرية للبنية العميقة

أ.م.د. آلاء علي عبد الله العنبكي
الايميل : alaaali@alkadhum-col.edu.iq

استلام البحث:21-01-2023 مراجعة البحث :20-03-2023 قيول البحث :24-03-2023

ملخص

لم يشر جومسكي الى الأصول الفكرية للبنية العميقة بصورة واضحة في كتابه الأول : (البنى النحوية) ، إلا أنه تحدث عنها في كتابه (اللسانيات الديكارتية) الذي، أشار فيه إلى أهمية ربط الفكر الحديث بالميراث الإنساني عامّة ، وأشار كذلك إلى العلوم التي تأثّر بها وانعكاس هذا التأثر في نظريته ومن هذه العلوم ما هو لغوي وغير لغوي ومن ثم، فإن منهج اللغة التوليدي التحويلي اعتمد في استقاء العديد من أصوله الفكرية على علم النحو العربي والعبري، فضلًا عن علم النفس والمنطق والفلسفة والفيزياء وسواها.

الكلمات المفتاحية:

Abstract:

Chomsky did not clearly refer to the intellectual origins of the deep structure in his first book: (Grammatical Structures), except that he spoke about it in his book (Cartesian Linguistics), in which he indicated the importance of linking modern thought to human inheritance in general, and also referred to the sciences that were affected and reflected by it. This influence in his theory and from these sciences what is linguistic and non-linguistic. Hence, the generative-transformational language approach relied on drawing many of its intellectual origins from Arabic and Hebrew grammar, as well as psychology, logic, philosophy, physics, and others.

Keywords:

مــقدّمـــة:

إن من المسلم به أن اللغة تمثل خصيصة إنسانية فريدة ، وأصبح البحث في اللغة يحتل مكاناً مرموقاً في دائرة اهتمام الفكر والعلم في عصرنا الحديث ، فتعددت مناهج دراسة اللغة ، وزوايا النظر إليها وتضافرت علوم عدة وتداخلت في سبيل الكشف عن تلك الظاهرة المتفردة ، ونتج عن ذلك اعتماد كثير من مناهج دراسة اللغة في مادتها الفكرية على علوم أخرى .

وبشأن المنهج التحويلي التوليدي، لم تبدُ الأصول الفكرية للبنية العميقة Deep structure واضحة في كتاب چومسكي Chomsky الأول : (البنى النحوية) Syntactic structures ، إلا أنه تحدث عنها في كتابه (اللسانيات الديكارتية) Cartesian linguisticsعام 1966 ، وفيه أشار إلى أهمية ربط الفكر الحديث بالميراث الإنساني عامّة ، وأشار كذلك إلى العلوم التي تأثّر بها وانعكاس هذا التأثر في نظريته .

ويمكن أن نعدّ سنة 1952 التاريخ الأقرب للبذرة الأولى للنظرية التوليدية التحويلية بصورة عامة ، والبنية العميقة بصورة خاصّة ؛ إذ نشر(هاريس) في هذه السنة مقاله المعنون بـ(قواعد التحويل) تحدث فيه عن الجملة التوليدية وعن القواعد والقوانين اللازمة لتوليدها ، وأوجد مصطلحا جديداً أسماه (الجملة النواة) التي شكّلت فيما بعد الجذر المباشر للبنية العميقة

عند چومسكي [1] . ومن ثم، فإن منهج اللغة التوليدي التحويلي اعتمد في استقاء العديد من أصوله وأركانه الفكرية على كثير من العلوم كعلم النفس والمنطق والفلسفة والفيزياء وسواها . ناهيك عن علم النحو العربي والعبري . وهو ما يحاول هذا البحث النهوض به من خلال محطّاته البحثية القادمة.

أولاً : النحو المشرقي العربي والنحو العبري

عندما صنّف أرسطو العلوم لم يضع علم المنطق من بين هذه العلوم لأنه عدَّ دراسة المنطق Logic ومعرفة قواعده وقوانينه مقدمة ضرورية للبحث في العلوم الأخرى كلِّها . غير أن المناطقة العرب أعلنوا بوضوح وجلاء أن علم اللغة يعدّ مدخلاً أساسياً لكل العلوم ومن بينها علم المنطق نفسه فمن الضروري إذن البدء باللغة قبل البدء بالمنطق [2] .

ومعلوم أنّ التحليل المنطقي لمفردات اللغة وعباراتها يعدّ مقدمة أساسية ووسيلة ضرورية لفهم المصطلحات الفلسفية المصوغة في قالب تلك المفردات أو العبارات ، ولذلك يعدّ هذا التحليل خطوة ضرورية لفهم المشكلة الفلسفية توطئة لحلها حلاً مقنعاً [3] ؛ لذا أدرك أغلب الفلاسفة والمناطقة العرب القدامى ما للغة من أهمية في البحث الفلسفي والمنطقي ؛ فبدأوا بتوضيح لغوي للمصطلحات الفلسفية ؛ لأنها وسيلة أو مقدمة ضرورية لتوضيح الأفكار والمشكلات الفلسفية [4] .

لقد بحث الفلاسفة والمناطقة العرب في القدم العلاقة بين علم المنطق Logic وعلم النحو Syntax ؛ لكون الأخير جزءاً من اللغة التي عدّها هؤلاء مدخلاً للمنطق كما أسلفنا ، فوازنوا بين العلمين مبينين أوجه الشبه والاختلاف بينهما ؛ فرأوا أن هناك شبهاً بين قوانين النحو والمنطق ، بل إنهم جعلوا المنطق جزءاً من النحو ، وذهبوا إلى أبعد من ذلك حين عدوا علم النحو منطقاً عربياً أو علم منطق عربي [5] .

فهم ينظرون إلى مسألة (الأصل) و(الفرع) نظرة فلسفية ميتافيزيقية ؛ ويعلِّلون ذلك بأن ((قوانين الكون تُثبت أن كلامنا على شيء مستقبل يكون أسبق زماناً من وقوع ذلك الشيء المستقبل ، فكذلك الفعل المستقبل يتحدث عن حادث سيقع ؛ فإذا وقع كان حدثاً حاضراً)) [6] . ورأينا أنهم بحثوا في أصل اللغة وكيف نشأت أهي توقيف أم وحي أم إلهام أم هي اصطلاح ومواضعة إنسانية ؟ فقال المناطقة والفلاسفة بالمواضعة خلا الأشاعرة الذين قالوا بالتوقيف [7] .

وميّزوا بين الصورة النحوية والصورة المنطقية للجملة ؛ فقد تتفق جملتان في تركيبهما اللغوي غير أنهما تختلفان في صورتهما المنطقية كأن تقول : (يوجد ألمٌ في قدمي) ، و(توجد نارٌ في حجرتي) . وقد يحصل العكس بأن تختلف جملتان في تركيبهما اللغوي وتتفقان في صورتهما المنطقية مثل : (لديَّ قدمٌ بها ألم) ، و(يوجد ألمٌ في قدمي) [8] . وهذا دليل على أن العربية تعنى بالمعنى قدر عنايتها باللفظ .

وخلاصة الموضوع أن الفلاسفة العرب القدامى توصّلوا بفكرهم الفلسفي الميتافيزيقي (الوجودي) والمنطقي (العقلي) إلى وجود علاقة بين تركيب اللغة ، وتركيب العقل ، وتركيب الواقع [9] . وهذا ما يفهم من قول الإمام الغزالي : ((إنّ للأشياء وجوداً في الأعيان ووجوداً في الأذهان ووجوداً في اللسان . أما الوجود في الأعيان فهو الوجود الأصلي الحقيقي ، والوجود في الأذهان هو الوجود العلمي الصوري ، والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي ... ولو لم يكن وجود في الأعيان

---

[1] ينظر : في نحو اللغة وتراكيبها / 49 – 50 .
[2] ينظر : في فلسفة اللغة / 155 .
[3] ينظر : م . ن . / 153 - 154 .
[4] ينظر : م . ن . / 153 ، 158 .
[5] ينظر : م . ن . / 173- 174 .
[6] التعليل النحوي في الدرس اللغوي / 67 .
[7] ينظر : في فلسفة اللغة / 10 .
[8] ينظر : م . ن . / 164 .
[9] ينظر : م . ن . / 176 .

لم ينطبع صورة في الأذهان ولو لم ينطبع صورة في الأذهان لم يشعر بها إنسان ولو لم يشعر بها إنسان لم يعبر عنها باللسان وإذن فاللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة أمور متباينة لكنها متطابقة متوازية)) [10] .

نستدلّ مما سبق أن هناك كثيراً من القضايا والظواهر والمنطلقات الفكرية المشتركة بين اللغويين العرب القدامى والنظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory ؛ فقد أدرك اللغويون العرب القدامى قضايا منطقية بالغة الأهمية لكنهم أشاروا إليها بإيجاز ، مثل قضايا الرياضيات البحتة أو التطبيقية العملية ، وقواعد المنطق والفلسفة ، إلا أنهم على الرغم من إدراكهم لها ، لم يهتموا بها اهتماماً يرقى بها إلى مستوى النظريات [11] .

واعتمدوا الفكر العقلاني أساساً لأفكارهم ومنطلقاً لها ، وربما يعود مردّ ذلك إلى اطلاع چومسكي على ذلك التراث الفكري ؛ فـ((قد قرّر چومسكي نفسه في مدافعاته الأولى عن النظرية ، وردوده على من تعرضوا لها بالتعليق أن فيها عوداً إلى مبادئ نظرية علم اللغة التقليدي ، وجعل هذه الملاحظة أحد تلك المبادئ . بل عدّ چومسكي ذلك من مزايا نظريته)) [12] . ويؤكِّد ذلك ما جاء في تصريح چومسكي Chomsky لمازن الوعر حول كتابه (البناء المنطقي لنظريات علم اللغة The logicl structure of linguistics) إذ يقول چومسكي : ((ناقشتُ في هذه المقدّمة كيف أن بعضاً من دراستي المبكرة في صغري لنحو القرون الوسطى كان قد قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية ، ونظرية النحو التوليدية ، وكانت هذه الأفكار – في الواقع – هي المثل المعتبرة التي احتذيتها في الأربعينيات . وأول بحث كتبته في النحو التوليدي هو ما كتبته في النحو التوليدي للغة العبرية ، واعتمدت فيه على هذه الأفكار . وكان ذلك في أواخر الأربعينيات)) [13] .

فمن المصرَّح به أن چومسكي قد درس العبرية وتاريخ اللغات مستعيناً بأبيه الذي كان أستاذا للعبرية . إذ حصل چومسكي في عام 1951م على درجة الماجستير برسالة (Morphophonemic of Modern Hebrew) والتي تعني بالعربية : (دراسة مورفوفونيمية للعبرية الحديثة) [14] . ومعروف أن كثيراً من نحاة العبرية الذين عاشوا في كنف المسلمين أقاموا درسهم النحوي للغة العبرية على منهج النحو العربي وطريقته ؛ ففي بغداد كان اللغوي العبراني (سعديا بن يوسف الفيومي) المتوفى سنة (945هـ) يتتلمذ على اللغويين العرب ويحذو حذوهم ، حتى إنه كان يفسِّر الألفاظ العبرية المشكلة في التوراة بما يقاربها في الألفاظ العربية . والحال نفسها في المغرب والأندلس ؛ إذ ظهرت مجموعة من علماء العبرية الذين اقتبسوا مناهج اللغويين العرب وطبّقوها على اللغة العبرية وفي مقدّمتهم شيخ نحاتهم (مروان بن جناح القرطبي) المتوفى في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، الذي كشف عن الصلة المتينة من حيث الأصل بين اللغة العبرية واللغة العربية ، وألَّف كتاباً في النحو العبري باللغة العربية أسماه (اللمع) [15] .

استناداً إلى ما سبق ذكره ، من المحتمل أن چومسكي قد عرف النحو العربي عن طريق النحو العبري الذي تعلّمه ، إذا افترضنا أن چومسكي لم يكن يعرف العربية أصلاً [16] ؛ ذلك لأن چومسكي نفسه صرّح باطّلاعه على اللغة العربية ونحوها في شبابه ؛ فقد اطّلع على متن الآجرومية عندما كان طالباً في المرحلة الجامعية ، هذا ما ذكره في حوار أجراه معه (د. مازن الوعر) يقول فيه : ((قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة ، كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية ، وما زلت أذكر دراستي للآجرومية منذ عدة سنوات خلت وكنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال ، وكنت مهتماً

---

(10) المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى /10- 11 .)

(11) ينظر : في فلسفة اللغة / 184 .

(12) نظرية النحو العربي / 54 .

(13) حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية والتحويلية / 79 - 80 .

(14) ينظر : مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم چومسكي / 265 .

(15) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 12 ، والمولّد في العربية / 65 .

(16) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 12 .)

بالتراث النحوي والعبري)) [17] . والشيء نفسه ذكره چومسكي في جوابه لسؤال وجهته إليه (د. معصومة عبد الصاحب) إذ ذكر أنه درس اللغة العربية واطّلع عليها ، يقول في جوابه لها : ((وبالمصادفة فإنني قد درست نحو سيبويه قبل 45 عاماً ، وقد كنت الطالب الوحيد وذلك أثناء دراستي لمقرر متقدم في اللغة العربية في مدرسة للدراسات العليا بجامعة بنسلفانيا مع الدكتور فرانز روزنتال)) [18] .

وفي جواب آخر لچومسكي رداً على سؤال حول حقيقة التأثّر بالنحو العربي والعبري وجّهه إليه (د. حمزة بن قبلان المُزيني) أجابه چومسكي في رسالة بعثها إليه في تاريخ (28 / 5 / 1989م) : ((وتسأل عن تأثير النحو العربي التقليدي على منهجي في دراسة اللغة ، إن أكثر الأقوال التي سمعتها صحيحة جزئياً ... فقد كان والدي عالماً من علماء النحو العبري في القرون الوسطى ... وكنت مطلعاً اطلاعاً جيداً في أيام صباي المبكرة على أعمال أبي ، كما أنني درست حينها شيئاً قليلاً من الدراسات التاريخية عن نحو اللغات السامية .

وكان أثر النحو العربي [على النحو العبري] عظيماً ... ولما التحقت بجامعة بنسلفانيا في سنة 1945م . بدأت مباشرة بدراسة اللغة العربية مع (جورجيو ليفي ديللافيدا) الذي كان مستعرباً متميزاً جداً ، ثم درست بعد أن تقاعد (ديللافيدا) ، مع (فرانز روزنتال) ومع (روزنتال) درست مادة اللغة العربية لفصل واحد وكنت الطالب الوحيد لتلك المادة ، ودرست معه كتاب سيبويه)) [19] .

ويقول چومسكي في إجابة ثانية للدكتور المُزيني : ((على الرغم من إنني كنت في فترة مبكرة من حياتي أعرف ما يكفي من اللغة العربية أستطيع به فهم ما يُنشر في جريدة أو رواية ، أما دراستي الفعلية فقد كانت مقصورة على الشعر الجاهلي ، والمؤلفات النحوية التي أُلّفت في القرن الثامن الميلادي)) [20] . أي القرن الثاني الهجري ، وربما يشير إلى كتاب سيبويه كما ذكر من قبل . وهذا دليل جليّ على إلمام چومسكي باللغة العربية ؛ لأن من يقرأ كتاب سيبويه ، ويدرس الشعر الجاهلي ، فلا مناص من أن يكون على دراية جيدة باللغة العربية . وهو يؤكد في أغلب نصوصه أن اطّلاعه هذا كان في الأربعينيات والخمسينات ، وهي المدة نفسها التي قام فيها چومسكي بوضع نظريته اللغوية [21] . إن كل ذلك يدلّ على أن چومسكي Chomsky قد أفاد كثيراً من الموروث اللغوي العربي . ومما يؤكد هذا الاستنتاج هو تخصّص چومسكي باللغة العبرية ودراسته تاريخ اللغات واطّلاعه على العربية بل دراسته نحوها أيضاً باعتراف صريح منه . كما لا يُستبعد أنه قد اطّلع من خلال المترجمات العبرية على الأفكار والرؤى اللغوية للغويين القدامى ، فوظّفها لخدمة نظريته اللغوية الحديثة [22] .

ونحاول هنا أن نتصفّح آراء بعض الكتاب العرب [23] في مسألة تأثّر چومسكي بالتراث العربي ونبدأ بـ(د. نهاد الموسى) الذي أشار إلى ذلك التأثر قائلاً : ((والأبحاث اللغوية والفلسفية في هذا التقليد – عندهم – مدينة للنحو اللاتيني المعياري ، والعقائد الرياضية لعصر التنوير . وهي – عندنا – مما هجس بشيء منه المبرّد ، وابن الخبّاز ، بل قرّره الفارابي تقريراً صريحاً)) [24] . ويقول د. الموسى بعد أن تحدّث عن رأي چومسكي في أنَّ اللغة لها نظام محدد من القواعد يفسَّر بها عدد لا ينسجم من الجمل : ((وقد وجدتُ أن ابن هشام نفذ إلى مضمون هذه الملاحظة في تقرير غير ملتبس ، منذ ستة

---

[17] حول بعض القضايا الجدلية / 7 .
[18] الجمل الفرعية في اللغة العربية / 14 .
[19] WWW. hmozainy.Jeeran.com- عيد ميلاد چومسكي / 5 – 7 .
[20] وينظر : التراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري / 43 – 44 .
WWW. hmozainy.Jeeran.com- عيد ميلاد چومسكي / 5 – 7 .
[21] ينظر : التراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري / 45 .
[22] ينظر : الثنائيات المتغايرة / 351 .
[23] أوردنا أسماء الكتّاب العرب هنا بالاعتماد على التسلسل الزمني لمؤلفاتهم .
[24] نظرية النحو العربي / 11 .

قرون ونيّف ... فإنه أقام الباب الثامن من كتابه المغني على (ذكر أمور كلية يتخرَّج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية))) [25] .

أما (د. حماسة عبد اللطيف) فرأى أن النظرية الحديثة اعتمدت على كثير من الأفكار التي اعتمدها القدماء في نظريتهم مثل البنية المجردة (العميقة) ، والبنية المنطوقة (السطحية) ، يقول : ((وقد كان الاهتمام بالبنية الأساسية – وإن لم يقع في تعبير القدماء – منطلقاً لتناول الظاهرة اللغوية ، فهي (نموذج) أو (معيار) تجريدي يحاول (الكلام الحي تنفيذه) . وقد جمع النحاة القدماء بين النموذج التجريدي والتعبير الواقعي المنطوق وجعلوا أحدهما وهو الأنموذج التجريدي أساساً للآخر ، ولذلك حاسبوا الكلام المنطوق بمقياس الأنموذج التجريدي)) [26] . ويفهم من هذا الكلام أن النحو العربي كان المنطلق والبذرة الأساسية التي انطلقت منها النظرية الحديثة ، وإلا فما معنى القول بأنموذج تجريدي وآخر منطوق غير أن الأول هو البنية العميقة والثاني هو البنية السطحية ؟

ويضيف د. حماسة متحدثاً عن البنية العميقة التي يعبر عنها بـ(البنية الأساسية) ، قائلاً : ((وصحيح أن هذا المصطلح لم يقع في تعبيرهم ، ولكنه يتبدى بصور مختلفة في كثير من اصطلاحهم الذي يوحي به ويومئ إليه ، وما قولهم (أصله كذا) أو (قياسه كذا) أو (هو على تقدير كذا) أو (تأويله كذا) الخ إلا رجوع إلى ذلك النموذج أو الأصل أو – إن شئت – البنية الأساسية)) [27] . وأما (د. علي زوين) فيفترض تأثر چومسكي والمدرسة التحويلية بالدراسات اللغوية العربية القديمة بقوله : ((من الضروري الإشارة إلى أن چومسكي قد درس العبرية القديمة بإتقان وكان يعتبر من المبرزين فيها ، وربما درس أصول النحو العربي عن طريق المترجمات العبرية في الأندلس وهي مترجمات نقلت قواعد النحو العربي وطبّقته على العبرية . ومن هنا يمكن لنا أن نفترض تأثر چومسكي ، والمدرسة التحويلية بالدراسات اللغوية العربية القديمة)) [28] .

وخرج الباحث (جابر عبد الأمير جبار التميمي) في دراسته : (جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه) بنتيجة يقول فيها : ((إن النظرية التوليدية التحويلية في حقيقة أمرها لم تكن إلاّ صدًى – في معظم جوانبها – لما قاله شيخ النحاة (سيبويه))) [29] . ويعلِّل ذلك بوجود كثير من المصطلحات التي تناولها سيبويه في (الكتاب) تتطابق في مدلولها مع مصطلحات النظرية التوليدية التحويلية، Transformational generative theory فضلاً عن تناوله جميع عناصر النظرية من زيادة ، وحذف ، وتقديم ، وتأخير ... بشكل علمي دقيق يدلّ على عقلية علمية متميزة. فضلاً عن أن سيبويه كان يدرك وجود مستويين للغة ؛ أما الأول فهو مستوى أصلي مفترض غير مستعمل ، وأما الثاني فهو أصل مستعمل ، وقد اعتمد سيبويه هذين المستويين أساساً لتقسيم أبواب الكتاب ، فبدأ بالأُصول ، ثم تناول ما يجري على الكلام من أعراض [30] . فقد بدا للباحث أن فكرة التحويل Transformation أي الانتقال من بنية عميقة مفترضة إلى بنية سطحية على وفق النظرة الحديثة ، كانت أساسا منهجيا في تبويب الكتاب وان لم يصرّح المؤلف بذلك [31] . وذهب الباحث إلى أبعد من ذلك فرأى أن طريقة التحليل الشجري التي اعتمدها چومسكي في تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة ، تتماثل مع طريقة إعراب الجمل في النحو العربي وتشابهها [32] . وكان كل ذلك محاولة من الباحث لكي يبين أن للنحاة العرب السبق في التنبيه على أغلب الظواهر التي درستها النظرية إن لم تكن جميعها [33] .

---

[25] نظرية النحو العربي / 54 ، وينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : 2 / 674 - 700 .
[26] في بناء الجملة العربية / 16 .
[27] في بناء الجملة العربية / 16 .
[28] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث / 44 ، وينظر : في نحو اللغة وتراكيبها / 52 .
[29] جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه (رسالة) / 229 .
[30] ينظر : جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه (رسالة) / 229 - 230 .
[31] ينظر : م . ن . / 31 .
[32] ينظر : م . ن . / 230 .
[33] ينظر : م . ن .

ويؤيد الباحث رأيه بقول المستشرق (هاينس غروتسفولد) : ((وإنّي لواثق أنّ نحويَ البصرة لن يلحظ أية غرابة في كتاب (چومسكي) (الأبنية النحوية) لو سنحت له الفرصة بالاطلاع عليه ، بل إنه سيجد فيه حججاً وطرقاً في التفكير مألوفة ، ولن يعترض على القواعد التحويلية التي وردت فيه)) [34] . ونحن نعلم أن سيبويه هو من نحاة البصرة وأئمتهم . وهذا يعني أن سيبويه واحد من أولئك النحاة الذين لا يجدون غرابة لو اطلعوا على كتاب (الأبنية النحوية) Syntactic structures لچومسكي [35] .

ويجري (د. رشيد عبد الرحمن العبيدي) مقارنة بين النظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory والنظرية العربية التراثية متمثلة بـ(عبد القاهر الجرجاني)، فيقول بعد أن عرّف التحويل Transformation بأنه : ((الانتقال من البنى العميقة إلى بنية سطحية منطوقة)) [36] : ((والذي يتأمَّل هذه الصورة من مذهب چومسكي ويقارنها بما يقوله عبد القاهر الجرجاني حول تحويل الجملة من نفس المتكلم قبل نطقها إلى جملة مألوفة يجد أن چومسكي لم يفعل شيئاً سوى تكرار ما قاله الألسني عبد القاهر)) [37] . ثم يورد د. العبيدي قولَ عبد القاهر : ((إنك ترتّب المعاني أولاً في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك ... إن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتبة إلا من بعد أن يفكر في المعاني ويرتبها في نفسه)) [38] محاولاً ربط البنية العميقة بالمعنى وترتيبه في الذهن قائلا : ((إن علاقة (البنية العميقة) هي علاقة جذرية بترتيب المعنى في الذهن ، وهذا الذي عبّر عنه قبل ما يقرب من ألف عام عبد القاهر بقوة)) [39] . ويرى أن چومسكي وضع نحوه التوليدي التحويلي على النحو التقليدي ، وجعل للمنطق مكاناً في قبول التركيب أو رفضه [40] .

وفي حديث للدكتور (حسام البهنساوي) نستشفّ منه ارتباط النظرية التوليدية التحويلية بالتراث النحوي العربي ، يرى أن نظرية چومسكي Chomsky أعادت لفكرة العامل قيمته واعتباره ، وذلك من خلال ما أسماه چومسكي بنظرية النحو الكلي ، وإن احتفاء علماء العربية القدامى بالعامل في دراستهم النحوية ، يوافق ما توصّلت إليه هذه النظرية من معطيات ومتطلبات [41] . أما الباحث (محمود شاكر محمد) فيرى في دراسته المعنونة بـ(ملامح النظرية التحويلية في الدراسات البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني 471هـ) : أن المنهج التوليدي التحويلي ((هو منهج آمن به النحاة العرب قبل مئات السنين ، ودرسوا الظواهر النحوية على أساسه وإذا كنا لا نريد القول بسبق العرب إليه فإننا لا نخشى القول أن جذور هذا المنهج واضحة في التراث النحوي العربي ، ومن يدري لعل هذه الجذور كانت أحد الأسس التي أقام عليها التحويليون الأمريكيون منهجهم العتيد)) [42] .

ويطابق (د. تمام حسان) بين الأنموذج التوليدي التحويلي عند چومسكي Chomsky ، والأنموذج العربي القديم ولاسيّما الأنموذج البصري فيقول : ((إن الأنموذج من ناحية القول بالبنية العميقة مطابق تماماً لما اشتمل عليه النموذج البصري من حيث القول بالحذف والتقدير والتأويل)) [43] .

---

[34] خواطر هيكلية في كتاب (سيبويه) وكتب من جاء بعده من النحاة (بحث) / 264 – 265 .
[35] ينظر : البحث الدلالي في كتاب سيبويه /430 .
[36] العربية والبحث اللغوي المعاصر / 246 .
[37] م . ن . / 246 - 247 .
[38] دلائل الإعجاز / 349 ، وينظر : العربية والبحث اللغوي المعاصر / 247 .
[39] الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين (بحث) / 14 .

[40] ينظر : الألسنية والبحث اللغوي المعاصر (بحث) / 164 .

[41] ينظر : نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية / 63 .

[42] ملامح النظرية التحويلية في الدراسات البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني / 12 .

[43] اجتهادات لغوية / 110 .

وترى (د. دلخوش جار الله) أن من الأسباب التي تستدعي القول بأن چومسكي Chomsky أفاد كثيراً من الموروث العربي ، ((التشابه الجذري والعميق الذي يُلحظ بين أفكار الجرجاني وطروحاته وبين النظرية التوليدية التحويلية بأغلب جزئياتها وحدودها وقواعدها بحيث يرى المتمعِّن أن جلّ ما ذكره الجرجاني من آراء وأفكار لغوية يدخل في صلب نظرية چومسكي ومضمونها)) [44] .

في حين يرى (د. عبد السلام المسدّي) أن چومسكي Chomsky انتبه إلى أهمية ربط فكره بالميراث الإنساني عامة [45] وبالطبع أن الميراث العربي جزء من ذلك الميراث العام ، وهذا ما حدا د. المسدِّي على التوصل إلى نتيجة تضمنها قوله : ((وليس صدفة أن أصبح نوام چومسكي حريصاً هذه السنوات إلى حدِّ التهافت على أن يقدم له طلبته ومريدوه من أبناء الأمة العربية كشوفاً ميسَّرة عن التراث النحوي العربي ، فقد استشعر أن أمة أدركت مراتب التجريد الفلسفي من جهة والرياضي من جهة أخرى لابدّ من أن منظومتها النحوية قد شارفت حدَّ المنطق الصوري ، وما هو بمخطئ فيما استشعره)) [46] .

إن كلّ ما سبق يؤكّد لنا أنّ چومسكي Chomsky قد تأثّر في تكوينه العلمي بالتراث العربي ، وبرز ذلك التأثُّر فيما بعد بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، نقول : (تأثُّر) وليس (أخذاً) ؛ إذ ((ليس في أقواله حول هذه المسألة تصريح حاسم بالأخذ إلا ما تحمله عبارته من إيحاء . لعله ورد عليها من حرارة موقف السجال حسب)) [47] . فنحن رأينا كيف أن چومسكي توقف عند هذه المسألة محاولاً تعقبها باقتضاب من غير أن يقرِّر أنه صدر عن تلك الأنظار [48] أو عن واحدٍ منها . وهذا ما يمنعنا من البتّ في هذه المسألة وإصدار الحكم بالأخذ ؛ وذلك أنّ القول بتأثر المناهج بعضها ببعض ، أو أخذ أصحابها الواحد من الآخر ((قول يظلّ – عند الباحث – تقريبياً لا يرقى إلى منزلة اليقين القاطع)) [49] .

لكن ما نستطيع قوله في هذا المقام هو أن هذا التشابه في الرؤى والأفكار في المناهج وأصحابها ربما يعود إلى ما يسميه چومسكي بالعالمية Universal ، والنحو العالمي Universal grammar الذي يصلح لتحليل أي لغة في العالم لذلك روعي في هذا النحو أن يكون ذا أبعاد واسعة في مفاهيمه الأساسية بحيث يستوعب أنحاء مختلفة في لغات متعدّدة ومن بينها العربية [50] . ومهما تكن أسباب ذلك التقارب سواء أكانت تلك الأسباب راجعة إلى التأثّر والاهتداء أم إلى (النحو العالمي) Universal grammar ، فربما إنه لم يكن راجعاً إلى أي منها بقدر ما هو نوع من توارد الخواطر في الفكر الإنساني وفي المجال الواحد وبالأخص في الظاهرة اللغوية المدروسة [51] .

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على تفوّق العلماء العرب في الدرس اللغوي والنحوي ؛ إذ ((العقل العربي مارس كل ألوان الاجتهاد وأنواعه ، وبعض هذه الاجتهادات كانت حريَّة بالتطور والإثراء وليس التجاهل والاحتقار)) [52] ، وأن معطيات علم اللغة الذي طوّره چومسكي ومن سبقه كسوسير ((لم تكن فتحاً جديداً ، وكان يجب ألا تكون كذلك ، بالنسبة للمثقف العربي لو أنه في حماسة للتحديث وانبهاره بمنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي)) [53] . فالنحاة العرب القدامى

---

[44] الثنائيات المتغايرة / 351 .
[45] ينظر : مباحث تأسيسية في اللسانيات / 22 .
[46] م . ن . / 23 .
[47] نظرية النحو العربي / 55 (الهامش) .
[48] ينظر : م . ن . / 13 .
[49] نظرية النحو العربي / 9 .
[50] ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 10 .
[51] ينظر : م . ن . / 12 .
[52] المرايا المقعرة / 247 .
[53] المرايا المقعرة / 257 .

سبقوا بعض النظريات الحديثة في كثير من قضاياها بمئات السنين ، وهم بهذا يستحقون أن يوصفوا بأنهم (قدماء معاصرون) [54] .

لكن هذا لا ينفي ضرورة أن نتعمق في الدرس اللغوي الحديث ، وأن نحاول تقريب المناهج والنظريات اللغوية الحديثة من تراثنا العربي اللغوي بالكشف عن أوجه التشابه أو التأثر ؛ ذلك لأن ((الدعوة إلى رفض المناهج اللغوية الحديثة دعوة غير صحيحة ، بل هي دعوة غير إنسانية ، ولا أشكّ لحظة في أنها ضارة بالعربية نفسها ومن الضروري أن نفيد مما يطوره الناس ، وأن نشارك نحن في هذا التطوير ، ولا أشكّ لحظة أيضاً في أن المناهج الحديثة – مع إدراكنا أصول النحو العربي – تقدّم فهماً أفضل للعربية)) [55] .

فكل الجهود والإسهامات التي قدّمها العرب لا بدّ من تعزيزها بالشرح أو التعليل أو الزيادة وذلك بالاتكاء على هذه النظريات أو تلك المناهج ؛ لأن العلوم جميعها قابلة لأن تتأثّر وتؤثِّر ، ولا يصح أن تبقى جامدة وكأننا نعيش في عزلة تامة عما يجدّ ويتطوّر [56] . فنحن لا نعتقد بأن العرب – مع كل ما قدّموه من انجازات – سبقوا إلى كلّ شيء ؛ فبالإمكان إبداع ما كان وإن اختلفت المفاهيم والمنطلقات والأهداف باختلاف العصور والأزمان . وإذا كانت الثقافة الإنسانية تتميز بخاصية التواصل ، فإن المساهمة التي يقدمها شعب ما في تراثه الثقافي ، تصبح جزءاً من التراث الثقافي الإنساني . فهذه المتابعة المستمرة للعلم الحديث – إذن – تخدم في فهم التراث العربي القديم .

ثانياً : العلوم غير اللغوية .

أصبح البحث اللغوي في العصر الحديث يشغل مكاناً مرموقاً في دائرة اهتمام الفكر والعلم ، وتداخلت علوم شتى وتضافرت في سبيل الكشف عن جوانب تلك الظاهرة – أعني ظاهرة اللغة – مما أدّى إلى تعدد مناهج البحث اللساني تبعاً لاختلاف زاوية النظر إلى اللغة بحسب العلوم المتداخلة معها ، وتبعاً للغاية أو الهدف من الدراسة . ونتيجة لهذا التآزر بين اللغة والعلوم المختلفة ، ظهرت موجة معرفية يمكن أن نطلق عليها موجة (العلوم المتداخلة الاختصاص Interdisciplines) [57] .

وكان الأساس الجامع لانبثاق هذه الموجة التحوّل الجذري في (فلسفة العلم) ؛ إذ نقض هذا التحول فلسفة العلم الكلاسيكية التي كانت تنظر إلى الحقول المعرفية بأنها ذرّات ، أو أجزاء ، أو عناصر ، ولا تنظر إليها نظرة كلية بحيث تعدّها نسقاً system [58] ، أو من منطلق يقرّ بأن ((وجود التنظيم إنما يتضمن صفات في الكل ، ولكنها ليست ظاهرة في كل جزء منه)) [59] . لقد أدّى هذا التحوّل إلى ظهور فلسفة جديدة سميت بـ(النظرية العامة للأنساق General system theory) التي نسبت للمنظِّر (فون بيرتا لانفي Bertalanffy) الذي ألّف كتاباً عام 1950 حمل اسم النظرية السابق [60] . وبهذا ((اقتربت فروع العلم حتى كادت تذوب في وحدة تشملها جميعاً ، ومن ثمّ أصبحت وحدة العلم هي المثل الأعلى الإيجابي للروح العلمية المعاصرة)) [61] . مما أدى إلى ظهور اتجاهات قائمة على التكامل مع حقول معرفية أخرى .

---

[54] على حد تعبير (د. رمضان عبد التواب) . ينظر : دراسات وتعليقات في اللغة / 192 ، والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد / 213 – 214 .
[55] النحو العربي والدرس الحديث / 160 ، وينظر : النظرية اللغوية العربية الحديثة / 22 .
[56] ينظر : انزياح اللسان العربي الفصيح والمعنى / 15 – 16 .
[57] ينظر : انفتاح النسق اللساني / 11 - 12 .
[58] ينظر : م . ن . / 11 .
[59] فلسفة العلم / 139.
[60] ينظر : انفتاح النسق اللساني / 11 .
[61] فلسفة العلم / 141 .

وبطبيعة الحال لا يمكن فصل تطور اللسانيات في العصر الحديث عن تطور فلسفة العلم في العصر نفسه فكانت اللسانيات إحدى تلك الاتجاهات التي انصهرت مع علوم أخرى فكانت هناك اللسانيات النفسية psycholinguistics ، واللسانيات الفلسفية philolinguistics، واللسانيات البيولوجية Biolinguistics ، واللسانيات الرياضية Mathelinguistics ، واللسانيات الاجتماعية sociolinguistics... وغيرها [62] .

فليس غريباً إذن أن نجد نظرية لسانية كالنظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory ، تتداخل في مفاهيمها وأسسها مع علوم أخرى ؛ فمما عرف به چومسكي Chomsky مؤسس النظرية التوليدية التحويلية ، اهتمامه بعلوم أخرى غير النحو syntax ، كالمنطق logic ، والفلسفة philosophy ، وعلم النفس psychology ، وعلم الأحياء biology ، وعلم الفيزياء physics ، وعلم الرياضيات mathematics وتاريخ اللغات History of languages .

فاتخذ من هذه العلوم وسيلة لبناء نظريته وتطويرها ؛ إذ انبنت هذه النظرية في أسسها على كثير من مفاهيم هذه العلوم وعالجت الظاهرة اللغوية على وفق منطلقاتها ، إذ أراد چومسكي Chomsky بالاعتماد على هذه العلوم البحث عن طبيعة اللغة وتركيب الجملة وطريقة بنائها ، وكيفية تعلّم الطفل لغته ، وكيف تتطور قدرته اللغوية . وبذلك تكون هذه العلوم قد شكلت جزءاً لا يتجزأ من هذه النظرية ، وركناً مهماً فيها [63] .

أما الدعوة إلى استقلال علم اللغة وشكليته ، فقد رأى چومسكي أنها قد أثبتت عجزها في فهم اللغة وطبيعتها فهماً صحيحاً ؛ ولا مناص – إذن– من الاستعانة بالعلوم الأخرى استعانة أساسية . ولعلّ هذا دليل على صحة ما ذهب إليه اللغويون العرب القدماء حين اتصلوا بعلوم عصرهم عامة من منطق وفلسفة وعلم كلام وسواها [64] . وفيما يأتي توضيح لهذه العلوم التي نهل منها چومسكي في نظريته :

1- المنطق Logic والفلسفة philosophy .

أكّد چومسكي أهمية ربط الفكر الحديث بالميراث الإنساني وذلك في مصنفه (اللسانيات الديكارتية Cartesian linguistics) لعام 1966م الذي أبان فيه عمق التحام الفكر اللغوي بالهاجس الفلسفي بشكل قاطع [65] ، وكان قد ركّز من قبل في كتابه (البنية المنطقية للنظرية الألسنية The logical structure of linguistic theory) عام 1955م ، على أهمية المنطق Logic في بناء النظرية اللسانية قائلاً : ((بالتأكيد ، ليس بإمكاننا الاستغناء عن اللجوء إلى المنطق لصياغة النظريات)) [66] .

ونراه محقاً في هذا الأمر ولاسيّما في ما يتعلّق بالنظرية اللسانية ؛ إذ نجد أن هناك علاقة وطيدة بين الظاهرة اللغوية من جهة ، والفلسفة والمنطق من جهة أخرى ((فالفلاسفة ... يرون اللغة من زاوية اتصالها بالفكر ، ومن ثم فهي عندهم وسيلة نقله ، وطريق التعبير عنه . والمناطقة يدرسون قوانين التفكير وانعكاسها على اللغة)) [67] . ونحاول في هذه الصفحات التعرض إلى شيء من المعين الفلسفي المنطقي الذي طرقت النظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory بابه بيد مؤسِّسها . ومن أجل بيان وجهة نظر چومسكي Chomsky لابدّ أن نتناول أولاً فكرة التمييز بين الظاهر والحقيقة في الفلسفة ؛ لكونها شكلت انطلاقة لأفكار چومسكي اللغوية ، ومرجعية فكرية في نظريته

---

(62) ينظر : انفتاح النسق اللساني / 12 .
(63) ينظر : مرجعيات معرفية في النظرية اللسانية التوليدية (بحث) / 60 .
(64) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث / 160 – 161 .
(65) ينظر : مباحث تأسيسية في اللسانيات / 22 .
(66) - Chomsky : The logical structure of linguistic theory , New – york and London , plenum , 1975 , p. 83 .
(67) انفتاح النسق اللساني / 14 .

اللغوية . ونبدأ حديثنا عن هذه الفكرة ابتداءً من (أفلاطون) الذي رأى أن العالم الذي نعيش فيه يعبر عن ظاهر لا حقيقة ؛ لأن الإنسان في هذا العالم يعتمد على شهادة حواسه التي قد تكون خادعة أحياناً لا موضوعية فيها . وهذا يدلنا على أن العالم المحسوس ليس هو العالم الحقيقي ، وإنما العالم الحقيقي هو ما يصدق عليه الثبات وعدم التغير، ويمكن إدراكه بـ(العقل) لا بالحواس [68] .

أما (كانت kant) فيتسامح في فلسفته بعض الشيء فيرى أن العالم المحسوس هو عالم ظاهري يمكن إدراكه بـ(العقل) و (الحواس) معاً كما يمكن إدراكه بالاستدلال العلمي ، إلا أن هذا العالم الظاهري المحسوس يخفي وراءه عالماً حقيقياً ، والإنسان يجهل هذا العالم الحقيقي ؛ بسبب عدم استطاعة قدراته العقلية المحدودة من إدراك ذلك العالم أو معرفة ماهيته . ويرى كذلك أن بإمكان الإنسان في هذا العالم الحقيقي أن يتلمس الوجود الإلهي ومعاني الحرية والخلود واللانهائية [69] .وكنتيجة مباشرة لتأثّر التحويليين بالفلسفة والمنطق ، حاولوا تطبيق هذا التمييز بين الظاهر والحقيقة على ظاهرة اللغة ، وكيف يمكن بناء جمل وتراكيب لا حصر لها ولا عدّ ، واستنتجوا ثلاثة مواقف [70] :

الموقف الأول : عندما يبدأ الطفل اكتساب بعض مفردات اللغة وربط كل مفردة بمعناها وبما تدلّ عليه من أشياء حوله ، وعندما يبدأ بتعلم قواعد النحو ، نجد الطفل فيما بعد قد أصبح قادراً على تكوين جمل قائمة على تلك القواعد النحوية التي تعلمها . إننا نجده قادراً على تكوين جمل لم يسبق له أن تعلمها أو سمعها من قبل . أثارت هذه الواقعة دهشة چومسكي ؛ إذ لا يمكن تقديم تفسير تجريبي لهذه الواقعة ، ولذلك تحتاج الواقعة السابقة إلى تفسير .

الموقف الثاني : يبدأ عندما نبدأ نحن بتفسير الظاهرة أو الواقعة السابقة من خلال التمييز بين ما أسماه چومسكي (الكفاية اللغوية Competence) و (الأداء اللغوي Performance) لدى الفرد . ويقصد بالكفاية اللغوية ((القدرات الفطرية عند متكلم اللغة)) [71] ، أما الأداء فهو ((طريقة استعماله اللغة ويسمى (الإنجاز))) [72] ، أي استعمال اللغة على مستوى الحديث الجاري مثل قولنا : إن الشباك مفتوح ، والبرتقالة حلوة الطعم ... الخ ، وإذا كان الأداء يتضمن قواعد لم يتلقها الإنسان من قبل ، فإنه يمكن افتراض أن الفرد يمتلك بالفطرة قواعد صورية أولية يمكن إثارتها عن طريق قواعد النحو وتركيب الجمل الصحيحة [73] .

الموقف الثالث : وهو الخطوة الثانية في تفسير چومسكي Chomsky لتلك المقدرة الفطرية . وهنا يتضح تأثير الأفكار المنطقية والفلسفية ، وتأتي فائدتها المباشرة ؛ إذ فيها يبدأ الحديث عن فكرة الظاهر والحقيقة لوقائع الحياة اللغوية والتمييز بينهما ؛ فالظاهر هو : الأداء Performance ، أما الحقيقة فهي : المقدرة أو الكفاية اللغوية Competence. أو بعبارة أخرى إن الظاهر هو : البنية السطحية Surface structure ، أما الحقيقة فهي : البنية العميقة Deep structure للكلام [74] . ويمكن توضيح ذلك التمييز بالقول : ((إن القواعد اللغوية المألوفة لدى الطفل هي قواعد التركيب السطحي ، مثلما تقول إن الأسماء والصفات والأفعال ... هي أجزاء الكلام الرئيسة ، وإن الجملة البسيطة تتألف من فعل وفاعل ومفعول أو مفعولين إن كان الفعل متعدياً ... لكن لا دقة في هذا التصنيف لقواعد بناء الجمل ، لأننا قد نأتي بجمل أكثر تعقيداً تزيد عما تقوله تلك القواعد)) [75] . وهنا تأتي نوبة البنية العميقة Deep structure التي تساعدنا في الكشف عن طبيعة تلك الجمل عن طريق قواعد كامنة في ذهن المتكلم تزودنا بتفسير دلالي لكل تلك الجمل المعقدة عن طريق عمليات

---

[68] ينظر : في فلسفة اللغة / 141 .
[69] ينظر : في فلسفة اللغة / 141 - 142 .
[70] ينظر : م . ن . / 142 - 143 .
[71] العربية والبحث اللغوي المعاصر / 245 .
[72] م . ن .
[73] ينظر : Chomsky : Language and mind , New – York , 1968 , pp. : 4 – 63 .
[74] ينظر : في فلسفة اللغة / 143 - 144 .
[75] م . ن . / 143 .

الوصف والتحليل والتفسير [76] . إن چومسكي في نظريته التوليدية التحويلية Transformational generative theory ، قد اتخذ من مبادئ المنطق Logic والفلسفة philosophy مذهباً في تفسير الظاهرة اللغوية واستأنس بما قاله بعض مناطقة القرن السابع عشر ؛ ومنهم : (أنطون آرنولد Antoine Arnauld) و (نيكول Nicole) صاحبا كتاب (المنطق أو فن التفكير)1660م ، ذلك الكتاب الذي اشتهر باسم (منطق بور رويال Port Royal logic) 1650م . ويستمد مؤلفا هذا الكتاب آراءهما المنطقية والفلسفية من فلسفة (ديكارت Descartes) العقلانية [77] . وفي هذا الصدد يقول (د. عبد المطلب) : ((وتلتقي اهتمامات چومسكي بقدرات الإنسان الذاتية بالجذور العقلانية للقرنين السابع عشر والثامن عشر عند ديكارت ومن شايعه ممن فهموا اللغة على أنها نظام مغلق من العلاقات الدائمة)) [78] ؛ فچومسكي نفسه يصرّح بـ((أنه قد تأثّر بآراء المدرسة الفلسفية العقلانية التي سادت القرن السابع عشر والتي كان الفيلسوف ديكارت من أشهر أعلامها .

ولذلك كانت آراؤه عن طبيعة اللغة عميقة للغاية ومناقضة تماماً للسطحية التي تميّزت بها آراء أسلافه المباشرين في النصف الأول من القرن الحالي)) [79] . فرأى چومسكي ما رآه ديكارت من أن اللغة هي الخاصية المميزة التي يتميز بها الإنسان من الحيوان ، فديكارت يرى أن الحيوان آلة ؛ لأنه جسم مادي لا عقل له ولا شعور ، ومعلوم أن الأجسام الماديّة كلَّها تخضع للقوانين الآلية [80] . لذلك يرى ديكارت أن الآلية تنطبق على الحيوان ، في حين أن الإنسان يختلف اختلافاً جذرياً ؛ إذ إنه لا يخضع للتفسير الآلي ؛ ذلك أن ((الإنسان له قدرة وعقل وأهم خصائص العقل إنتاج اللغة)) [81] . فالفارق بين الإنسان والحيوان يكمن في القدرة على اللغة ، فالإنسان قادر على اللغة في حين أن الحيوان عاجز عنها [82] .

إن هذا الاختلاف الجوهري بين الإنسان والآلة – وبضمنها الحيوان – ينتهي منه ديكارت إلى حقيقة مؤداها : أن كل إنسان يمتلك في عقله قدرة فطرية على استخدام اللغة على نحو لا يتاح لأي حيوان آخر ، وهذا ما تحدث عنه ديكارت في الجزء الخامس من كتاب (المقال في المنهج) إذ يقول : ((إن أي آلة مصنوعة من نموذج القرد أو أي حيوان لن تستطيع استخدام الكلمات أو أي علامات أخرى مثلما نستخدمها لننقل بها أفكارنا إلى الآخرين . يمكننا تصور تصميم آلة تصدر عنها كلمات ... لكنها لا تستطيع أن ترتب الكلمات بطرق مختلفة لتستجيب لمعاني ما يقال عنها ، كما يفعل حتى أكثر الناس عجزاً ... ومن العجيب أنه لا يوجد إنسان مهما اشتدّ غباؤه أو من به لوثة لا يستطيع أن يرتب كلمات متباينة ليؤلف جملة ليوصل بها أفكاره للآخرين ، لكن لا حيوان يستطيع ذلك ... ولذلك فنحن في حاجة إلى قدر ضئيل من العقل على الأقل لكي نستطيع الكلام)) [83] .

فچومسكي – إذن – اتخذ من منهج الفلاسفة العقلانيين ومنهم ديكارت أساساً في فهم الظاهرة اللغوية وتحليلها ؛ إذ إنه ((استند استناداً كلياً إلى العقل في إثبات وجود النفس واتخذ منه معياراً لتحليل جميع الظواهر بعد إثبات الذات المفكرة المتميزة عن المتميزة عن الجسمانية والمكانية والزمانية)) [84] . إن المنهج الذي قال به ديكارت في التفريق بين الإنسان والحيوان ، هو الذي أصّل فكرة (الجانب الخلّاق في اللغة Creative aspect) . ولذلك يرى چومسكي أن هذه الفكرة

---

(76) ينظر : من الأنماط التحويلية في النحو العربي / 11 .
(77) ينظر : في فلسفة اللغة / 144 .
(78) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني / 75 .
(79) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة / 113 .
(80) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث / 119 - 120 .
(81) اللسانيات والفكر الجدلي لدى المتكلم (بحث) / 370 .
(82) ينظر : في نحو اللغة وتراكيبها / 55 ، والنحو العربي والدرس الحديث / 120 ، وفي علم اللغة التقابلي / 38 ، وفي فلسفة اللغة / 144 .
(83) - Descartes , Philosophical Writings , translated and edited by Anscombe and deach , introduction by Alexendre Koyre , Nelson , London , 1954 .
(84) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث / 43 .

بدت واضحة عند العلماء الأوائل مثل : المفكر الألماني (ولهم ڤون همبولت Welhelm Von Humboldt) (1767– 1835) ، الذي ربط اللغة بالعقل لتقديم منهج توليدي خلّاق للغة [85] ، والعالم اللغوي (فرديناند دي سوسير) (1857– 1913م) الذي أكّد أهميّة خاصية الخلق وعدّها من الأمور المسلَّم بها [86] . يرى همبولت Humboldt أن اللغة هي نتاج عمل العقل فهي عمليات ذهنية تحدث في الذهن ، وإذا كانت كذلك فهذا يعني أن هناك عوامل ليست ظاهرة على السطح تكمن تحتها ، أي أن هناك شكلاً خارجياً (آلياً) وآخر داخلياً (عضوياً) وهو الأهم ؛ لأنه الأساس الذي يتطور من الداخل [87] .

أفاد چومسكي من هذه الفكرة فميّز ((بين المظهر الموجود بالفعل على هيئة جملة معينة ينطق بها المتكلم ، وبين ما هو مختبئ تحت هذا السطح اللغوي من علاقات منطقية بين العناصر التركيبية المكونة لهذه الجملة . وهو يسمي هذا المظهر الموجود : البنية السطحية ، ويسمي شكل العلاقات المنطقية : البنية العميقة)) [88] . فعلى هذا يرى همبولت Humboldt أن العمل الإنساني (خلّاق) على عكس العمل الحيواني ؛ إذ إنه (آلي) . فضلاً عن أن (شكل اللغة) عند همبولت يعني امتلاك اللغة ، أي (الكفاية اللغوية) عند چومسكي Chomsky ، ولا يعني ممارسة اللغة أي (الأداء اللغوي) عند چومسكي أيضاً ، وهذا يعني أن هذه القواعد المتعلقة باللغة إنما هي قواعد إنسانية عامة لجميع الأفراد وهذا ما أطلق عليه چومسكي مبدأ (العالمية أو الكلية Universal) [89] . فالعقلانية – إذن – تدعم مبدأ شمولية المعنى أو شمولية الفكرة [90] .

لقد وجد چومسكي Chomsky لاتجاهه هذا أصولاً عند ديكارت Descartes والنحويين العقلانيين الفرنسيين من مدرسة بور رويال Port Royal وعند همبولت Humboldt ؛ إذ ذهب هؤلاء إلى أن اللغة الإنسانية تقوم على أساس بنية فكرية عامة لدى الناس جميعاً [91] .

2– علم النفس Psychology .

((كثيراً ما ألحّ چومسكي على أن هناك (صلة حيوية) بين اللسانيات وعلم النفس لدرجة أنه عدَّ اللسانيات فرعاً من فروع علم النفس الإنساني)) [92] ، يقول چومسكي : ((من وجهة نظري لا يمكن الحديث عن العلاقة بين اللسانيات وعلم النفس ؛ لأن اللسانيات جزء من علم النفس ، ولا أستطيع أن أتصورها غير هذا التصور)) [93] . رأى چومسكي أن ما وصل إليه السلوكيون من خلال مناهجهم الوصفية descriptive ، أو التصنيفية taxonomic ، أو التوزيعية distributive ((ليس إلا وصفاً خالصاً للوقائع اللغوية ، ومن ثم فهم لم يقدموا تفسيراً لهذه الوقائع ، وإنما قدموا (جرداً) لها)) [94] . فجومسكي يؤكد هنا التفسير الذي هو أحد الوظائف التي تقوم بها البنية العميقة Deep structure عندما تقدم تفسيراً وشرحاً للغة بالاعتماد على ما يمتلكه الفرد من كفاية أو قدرة لغوية . ويرى كذلك أن النحو يجب أن يولِّد جمل اللغة كلّها في إطار قواعد سيكولوجية واقعية ، لا أن يقدم مجرد مدونة محدودة من المادة اللغوية كما يفعل الوصفيون ، وإذا أُريد لهذه القواعد أن تكون واقعية من الوجهة السيكولوجية ، فلابدّ لها من أن تمثل عناصر بنية الكفاية اللغوية التي تمثل البنية العميقة للغة [95] . وموقف چومسكي هذا لا يبدو منفصلاً عن ذلك التيار المضاد للمدرسة السلوكية في سياق التطور

---

(85) ينظر : نظرية النحو العربي / 54 ، وفي نحو اللغة وتراكيبها / 55 ، والنحو العربي والدرس الحديث / 122 .
(86) ينظر : چومسكي / 46 .
(87) ينظر : النحو العربي والدرس الحديث / 123 .
(88) انفتاح النسق اللساني / 110 - 111 .
(89) ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة / 119 ، والنحو العربي والدرس الحديث / 124 .
(90) ينظر : سوسيولوجيا اللغة / 133 .
(91) ينظر : نظرية النحو العربي / 10 - 11 ، وينظر: العربية والبحث اللغوي المعاصر / 246 .
(92) انفتاح النسق اللساني / 119 .
(93) الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية (بحث) / 48 .
(94) انفتاح النسق اللساني / 101 .
(95) ينظر : انفتاح النسق اللساني / 107 .

التاريخي لعلم النفس Psychology ؛ فلقد عبّرت بعض الاتجاهات النفسية عن ضرورة التحوّل من النظرة التي قاست دوافع الإنسان على دوافع الحيوان ، إلى النظر إليه بوصفه نظاماً للشخصية الفعالة an active personality system . وهذا ما نجده في مدارس الفرويديين الجدد ، وعلم نفس الأنا ، ونظريات الشخصية [96] ... وسواها .

و((لقد تمثّل هذا التيار المضاد – بصورة جلية – فيما سمي بـ(علم النفس الإنساني) الذي وصف بأنه (القوة الثالثة The third force) بعد السلوكية والتحليل النفسي . وهذا التيار يرتكز على فلسفة أساسها الحاجة إلى دراسة الجوانب الإيجابية الخلّاقة في الإنسان ، لا بوصفه مريضاً كما في التحليل النفسي ، ولا بوصفه سلبياً منفعلاً كما في السلوكية)) [97] . اهتم چومسكي بعلم النفس إلى درجة أنه اشترط في النحو أن يكون واقعياً من الناحية السيكولوجية ؛ فالنحوي أو الطفل يمكنهما أن يُنشئا أنحاء عديدة للغة على أساس المادة المتوافرة من هذه اللغة ، إلا أن الواقعية السيكولوجية للغة لا تتحمل وجود أكثر من نحو واحد للغة بحيث يضمن لنا تحقيق الدقة التفسيرية . ولذا نجد كلاً من النحوي أو الطفل لابدَّ لهما أن يختارا نحواً واحداً للغة من بين تلك الأنحاء المتعددة من أجل تطبيق الواقعية السيكولوجية للغة [98] .

أراد چومسكي Chomsky أن ((يتناول النحو تناولاً هدفه إلقاء الضوء على العمليات الذهنية والعقلية والسيكولوجية التي تتحكّم بعملية الكلام والاستماع والفهم والاستيعاب)) [99] ، فبناء الجملة في رأيه يقوم على مبدأ (الاستدعاء النفسي) . فمثلاً إذا أراد المتكلم البدء بالمعرّف استدعى ذلك أن يذكر أداة تعريف أولاً ومن ثم يعقبها باسم يقع بعدها ، فلو اختار المتكلم أداة التعريف The ، وجب عليه أن يذكر بعدها اسماً مثل student فيصبح لديه مركب نحوي اسمي هو The student وهذا المركب يحتاج إلى تتمة ترتبط به ويستدعيها على وفق الرابطة النفسية بين الألفاظ ، فيقول مثلاً reads وهذه الكلمة تتطلّب أن يذكر المتكلم بعدها شيئاً يقع عليه تنفيذ الفعل – فعل القراءة – وأول ما يتبادر إلى ذهن المتكلم كلمة book ، فيرى چومسكي أن كل عنصر من عناصر الجملة استدعى العنصر الذي يليه وفقاً لمبدأ (الاستدعاء النفسي) إلى أن وصلت الجملة حداً لا تتطلب فيه ما يضاف إليها ، فتصبح الجملة كاملة [100] : The student – reads a book .

وبذلك استطاع چومسكي Chomsky أن يلقي الضوء على طريقة المتكلم في توليد الجمل وإنتاجها وذلك بالاستعانة بعلم النفس لذا يمكننا القول : إن علم اللغة التوليدي التحويلي ((يتضمن مقتضيات نفسية هامة ، بحيث يبدو من الصعب والحالة هذه الدفاع عن مصداقية الوصف الصوري حين يكون هذا الوصف متعارضاً مع الواقع النفساني)) [101] فإذا ما تبين لنا ((أن الوقائع النفسانية تخالف النموذج الصوري ، كان على هذا الأخير أن يتغيّر لا أن تتغيّر الوقائع)) [102] .

إن العلاقة بين چومسكيChomsky وعلم النفس Psychology لم تتوقف عند تأثر الأول بالثاني إلى حدّ الإفادة منه في بناء نظرية ، وإنما كانت العلاقة علاقة تأثر وتأثير متبادلين ؛ فنظرية چومسكي التوليدية التحويلية ((استطاعت أن تغيّر من طبيعة المعالجة النفسية لظاهرة اللغة ، وأن تطرح أمام اختبارات اللسانيين النفسيين قضايا وموضوعات لم يكن لعلم النفس السلوكي أدنى تصور معرفي حولها ، أو مجرد اهتمام ببحثها)) [103] .

---

[96] ينظر : - Bertalanffy , L. v. General system theory . (Allen Lane The penguin Press , 1968 , p. 219 .

[97] انفتاح النسق اللساني / 100 ، وينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة / 119 .

[98] ينظر : م . ن . / 108 .

[99] في اللسانيات ونحو النص / 92 .

[100] ينظر : في اللسانيات ونحو النص / 92 .

[101] اكتساب اللغة / 13 - 14 .

[102] م . ن . / 16 .

[103] انفتاح النسق اللساني / 143 - 144 .

وقد نتج عن مساهمة النظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory في علم النفس أن أثّرت في علماء النفس مثل (فودور Fodor) و (جورج ميلر G.Mehler) و(ماك نيل M.Neil) وغيرهم ، تأثيراً قوياً فاضطروا إلى إعادة النظر في تحليلهم السلوك الكلامي ؛ فمن بين المسائل التي أثارها چومسكي واستوقفت علماء النفس وأثارت انتباههم مسألة العدد اللامتناهي والمتجدد لجمل اللغة ، مما يستتبع عدم إمكانية دراسة الأداء الكلامي من خلال دراسة لائحة الجمل التي يحتمل ورودها والتي اختبرها متكلم اللغة . فالأداء الكلامي يخضع إلى عوامل نفسية متعددة ، ولذلك فهو لا يعكس الكفاية اللغوية بنحو مباشر ، في حين أن قواعد اللغة عند چومسكي تصف الكفاية اللغوية لدى متكلم اللغة التي تؤدي إلى الأداء الكلامي [104] .

والمسألة الأخرى التي طرحها چومسكي وحظيت بالأخذ والقبول مسألة (فطرية اللغة) التي تعني أن اللغة الإنسانية جهاز داخلي يولد الإنسان مزوداً به ، ولا يكتسبه ، وما الاكتساب اللغوي – الذي يقول به علماء النفس ومنهم البلومفيلديون – إلا إطلاق لذلك الجهاز ، عن طريق وضع افتراضات ونظريات من أجل اختبار النظام النحوي للغة التي يتعرض لها الإنسان . وبتعبير آخر نقول : إن اللغة عند چومسكي هي ((ملكة فطرية تكتسب بالحدْس ، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتكلَّم باللغة إلا إذا سمع صيغتها الأولية في نشأته فإن سماع تلك الصيغ ليس هو الذي يخلق (القدرة) اللغوية في الإنسان وإنما هو يقدح شرارتها فحسب)) [105] . وهذا ما يفسِّر لنا الطابع الخلّاق في اللغة ، وطابعها اللامحدود . إن فرضية چومسكي هذه حول فطرية اللغة أثارت تحولاً مهماً في طبيعة المعالجة النفسية للظاهرة اللغوية ، فما كان من اللسانيات النفسية إلا أن أخذت بهذا المبدأ وآمنت به فيما بعد [106] .

ومثل مبدأ فطرية اللغة مبدأ البنية العميقة Deep structure ، وقواعد التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية Surface structure وسوى ذلك من المبادئ التي غيّرت في مسار علم النفس الإنساني [107] .من هنا يتضح لنا أن اهتمام چومسكي Chomsky بمعطيات علم النفسPsychology لم يكن نابعاً من الرغبة لمتابعة ما هو سائد ، بل كان نابعاً من الرغبة في الكشف عن أوجه القصور ومن ثم إعادة التشكيل [108] .

3- علم الأحياء Biology .

يرى چومسكي أن نظرية اللغة الطبيعية تعني أن اللغة كامنة في الملكات والقدرات الذهنية لمستعمليها ؛ ولذلك كان على نظرية اللغة أن تصل إلى الجوانب العميقة لهذه الملكات والقدرات عن طريق طرح فروض علمية حول (الكفاية اللغوية) Competence [109] التي يمكن أن تعرّف بأنها : ((قدرة ذهنية ذات أساس بيولوجي)) [110] .

يقول چومسكي Chomsky : ((إن الاستدلال الأمثل يمكن أن يستمد من حقائق لا تزال غير موضحة في اللغة المدروسة ، ومن حقائق مماثلة عن لغات أخرى ، أو من تجارب في اللسانيات النفسية ... أو من علم الأعصاب ، أو من مصادر أخرى متعددة . إننا يجب أن نكون يقظين لأي أنواع جديدة من الاستدلال)) [111] .

---

[104] ينظر : الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية / 17 – 18 ، واكتساب اللغة / 15 .

[105] الأسلوبية والأسلوب / 158 - 159 .

[106] ينظر : انفتاح النسق اللساني / 127 – 128 .

[107] ينظر : م . ن ./ 131 - 143 .

[108] ينظر : م . ن . / 119 .

[109] ينظر : انفتاح النسق اللساني / 73 .

[110]- Botha : the conduct of linguistic inquiry : A systemati introduction to the methodology of generative grammar . Mouton, 1981, p. 41 .

[111]- Katz : language and other abstract objects . Basil Blackwell – oxford , 1981 , p . 69 .

معنى ذلك أن النظرية اللسانية عنده لم تكن مقصورة على ما يقدمه وصف البنية اللغوية كما هو الحال بالنسبة لبنيوية بلومفيلد Bloomfield ، بل أصبحت تعتمد على مرجعيات معرفية تقدمها دراسة العلوم الأخرى للآليات والعمليات والوظائف التي يقوم بها العقل الإنساني . ومن ثم أصبح على النظرية اللسانية أن تقوم بتقديم أفضل منظور لدراسة العمليات أو الآليات الذهنية للإنسان . وبطبيعة الحال يكون المجال البيولوجي أو المرجعية البيولوجية في مقدمة تلك العلوم التي يمكن أن تقدم المعونة المعرفية والرؤية الواضحة لهذه الآلية الذهنية التي قال بها چومسكي . إذ إن المجال البيولوجي مجال يعتمد على أسس ملموسة وليست حدسية أو تصورية [112] .

إذ ذهب هؤلاء إلى أن العقل الإنساني لا يولد صفحة بيضاء [113] ، كما كان يقال من قبل ، بل إنه يولد مزوداً بقدرات داخلية فطرية محكومة بيولوجياً [114] ، وبذلك يذهب چومسكي إلى القول : إن العوامل الفردية ، أو البيئية ، أو المعرفية ، ليست كافية لتفسير نمو اللغة عند الطفل ، بل هي بحاجة إلى شيء أكثر من ذلك ، هذا الشيء يسميه چومسكي (الاستعداد البيولوجي الفطري) أو (جهاز اكتساب اللغة) أو (فرضية المحتوى) [115] . ((وإذا كان چومسكي لا يعد هذه الفرضية أمراً جديداً ؛ حيث قد سبق لمفكرين كثيرين أن طرحوا مثل هذا الأمر – ومنهم ديكارت بصفة خاصة – فإن هذه الفرضية ما كان لها أن تخرج من هذا الإطار التأملي الحدسي إلى دائرة محاولة التحقق منها علمياً إلا بناءً على ما قدمه – ويقدمه – البيولوجيون من دعم ملموس)) [116] .

ومن الاستدلالات التي تدل على اعتماد النزعة الفطرية على معطيات بيولوجية أيضاً ، أن الأطفال المصابين بصمم خلقي لا يستطيعون الممارسة اللغوية ، ومع ذلك هم يستطيعون ممارسة المناغاة كما في الأطفال الأسوياء ، كما أنهم يستطيعون بعد ذلك إيجاد شكل من اللغة الإشارية التي تشبه لغة الأطفال الأسوياء في كثير من الجوانب . وهذا يدلّ على أنهم مزودون بقدرة لغوية فطرية تحولت لديهم من التعبير الصوتي إلى الأداء الإشاري [117] .

ومما يلاحظ لدى الأطفال أن فهم اللغة عندهم يسبق إصدارها ، ولذا نجد الطفل أحياناً يرفض تقليد الكبار بنطقه ، فإذا نطق (لحمة) بـ(لمحة) فإنه يرفض أن ينطقها الكبار مثله ، وهذا يعني أن هناك استعداداً فطرياً لدى الطفل وهو بهذا لا يكتسب ما يسمعه من الكبار من جمل وعبارات ؛ لأن ذلك سيكون أمراً فوق طاقة الذاكرة ، فما يتعلمه الطفل هنا هو المبادئ وليس اللغة .

وهذا ما نراه في القياسات الخاطئة التي يقوم بها الأطفال ؛ فالطفل حين يرى جموعاً مثل : (أفراد ، أقلام ، أشجار) يضع فرضية تقوم على أن هذا الشكل من الصيغة هو القالب الذي يتم به جمع المفرد في هذا النظام اللغوي الذي يتعلمه ، لذلك حين يواجه كلمة مفردة جديدة ويريد جمعها مثل (بيضة) يعمد إلى ما افترضه سابقاً من قياس فيقول : أبياض ، فمن وجهة نظر الآلية الذهنية التي يعمل من خلالها جهاز اكتساب اللغة لدى الطفل ، تكون هذه القياسات ليست خاطئة ؛ لأنها ناتجة عن تعميم قياسي صحيح من وجهة مبدئية [118] . فاللغة ليست سلوكاً تجريبياً يكتسبه الطفل ، وإنما هي صفة بيولوجية ملازمة للإنسان تميزه من غيره من الكائنات الحية . فـ((الفطريون يرون أن المدخل الصحيح لبناء نظرية لسانية يكمن في تحديد أساس التمييز النوعي – البيولوجي الإنساني ، وبصفة أخصّ : تحديد المكونات والآليات التي يعمل بها المخ البشري ، ومن ثمّ تحديد الآليات والمكونات التي تعمل بها اللغة . فاللغة – على حدّ تعبير چومسكي – (مرآة العقل)

---

(112) ينظر : انفتاح النسق اللساني / 74 - 75 .
(113) ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة / 119 .
(114) ينظر : انفتاح النسق اللساني / 77 .
(115) ينظر : م . ن . / 78 .
(116) م . ن .
(117) ينظر : انفتاح النسق اللساني / 78 . والاتجاهات الأساسية في علم اللغة / 117 – 118 .
(118) ينظر : م . ن . / 80 - 82 .

)) [119] . كما أن موضوع بحثهم هو الكفاية اللغوية Competence التي تقرر البنية العميقة Deep structure ، وليس الأداء Performance لأنه يكون خاضعاً لظروف كثيرة مثل : قيود الذاكرة ، وتقلبات التركيز ، والاختلال الذهني والأخطاء وغير ذلك [120] .

وربما تأثروا في ذلك بالعالم الألماني مولر Muller المتوفى عام 1900م ؛ الذي ذكر ((أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة زود بها الإنسان في الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع ؛ كما زود باستعداد فطري للتعبير عن انفعالاته بحركات جسمية و أصوات بسيطة)) [121] . فالطفل مثلاً ((عندما يرى حدثاً أمامه يستقر في نفسه معنى هذا الحدث لغوياً ومغلفاً بالمفردات ؛ فهذا هو التركيب الباطني . والكفاءة أو القدرة على اللغة هي التي جعلت هذا التركيب يستقر في نفسه . وهذه القدرة إنما هي جزء من مكوناته البيولوجية . ثم إنه ليعبر عما استقر في نفسه ، أي يؤديه في جملة أو جمل ؛ أي ينقله أو يحوله إلى بنية سطحية ، وهذه البنية السطحية يمثلها الأداء)) [122] . فأصحاب هذه النظرية يريدون التوصل إلى تحديد الكفاية أو البنية العميقة بمفهومها المجرد المثالي ، لكونها تمثل القواعد الكلية المتجانسة التي تحدد (شفرة) النظام اللغوي [123] .

4- علم الرياضيات mathematics .

إن التفكير الرياضي هو تفكير علمي مبرهَن عليه يتخذ من النظر المتسلسل في مسألة ما خطواتٍ لاكتشاف المجهول ، أو لإثبات صحة المعلوم . فالتفكير الرياضي منهج ينظر في علاقات الترابط والتلازم بين أجزاء المسألة المعرفية الواحدة ، لكي يجعلها سلسلة مترابطة قابلة للبرهنة والتجريد ، وقد يحوِّل هذا التفكير المدركَ بالحسّ إلى مدرك بالعقل ، وهو بهذا يجعل المعرفة عقلية وإن كانت في أصلها حسية ؛ لأن التفكير الرياضي إنما هو تجريد رمزي للمعرفة ، ومعلوم أن التجريد يتجاوز الحسّ والزمان والمكان على الأغلب [124] .

تعتقد النظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory أن اللغة أشبه بالعمليات الحسابية فهي تتشابه إلى حدٍّ ما مع الرياضيات mathematics ؛ فإذا قلنا : إن الإنسان له كفاية لغوية Competence تمثلها قواعد مختزنة أو بنية عميقة Deep structure تتيح له إنتاج عدد غير متناه من الجمل ، فإن هذا الأمر لا يختلف عن الطالب الذي اكتسب قواعد الحساب ويستطيع إتمام العمليات الحسابية إلى ما لا نهاية أي أن :

الكفاية اللغوية عند الإنسان = قواعد الحساب عند الطالب

إن تأثّر هذه النظرية بالفكر الرياضي راجع إلى تأثر مؤسسها به ؛ فمعلوم أن چومسكي درس الرياضيات وحاول تطبيق بعض مفاهيمه على نظريته هذه [125] فنشر في عام 1955م مقالاً بعنوان (علم التراكيب الرياضي وعلم الدلالات : ملاءمتهما الألسنية) [126] .

لقد أسّس چومسكي نظريته النحوية على أسس رياضية ، ووصف افتراضاته بالاعتماد على أدوات رياضية أيضاً ، حتى أصبح النموذج الرياضي بالنسبة له مثالا يُحتذى في تحديد تلك الافتراضات [127] . إلا أن ((استخدام الرموز الرياضية

---

(119) انفتاح النسق اللساني / 86 - 87 .
(120) ينظر : م . ن . / 87 .
(121) في علم اللغة التقابلي / 38 ، وينظر : مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة / 192 .
(122) م . ن . / 39 ، وينظر : مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة / 192 .
(123) ينظر : انفتاح النسق اللساني / 87 .
(124) ينظر : رؤى لسانية في نظرية النحو العربي / 15 .
(125) ينظر : نظرية النحو العربي / 11 ، وفي اللسانيات ونحو النص / 35 ، واللسانيات واتجاهاتها وقضاياها الراهنة / 130 .
(126) ينظر : جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه (رسالة) / 22 .
(127) ينظر : مفهوم البنية العميقة بين چومسكي والدرس النحوي العربي / 32 – 33 ، وقضايا التشكيل / 9 .

الشبيهة بالمعادلات الكيميائية قد أضفى على النظرية شيئاً من التعقيد والغموض)) [128] ، كما أن استعانة چومسكي بالمنطق والرياضيات أفرزت سمة التجريد في دراسة اللغة ؛ ذلك ((أنّ المنطق لا يتعامل مع الأشياء مباشرة بل يستعين برموز مجرّدة ، كذلك الرياضيات ، مما أكسب علم اللغة والنحو خاصّة طابعاً مجرّداً)) [129] . وهذا ما حثّنا على القول : ((بأن النظرية التوليدية التحويلية كانت معقدة في عرضها لا في جوهرها)) [130] .

طبّق چومسكي المفاهيم الرياضية فعلاً عندما اختار مصطلح (توليدي generative) ليجعله ركناً أساسياً في نظريته بل عنواناً لها فسماها بالنظرية التوليدية ، يقول د. محي الدين محسَّب : ((لقد استعار چومسكي مصطلح توليدي generative من الرياضيات mathematics . وهذا المصطلح لا يعني تولُّد الجمل بالمعنى الحرفي ، بل يعني نوعاً من التنبؤ بالأشكال التي يمكن أن تأخذها الجمل – عند صدورها – في الاستعمال اللغوي)) [131] .

إن مفهوم التوليد يرتبط في ذهن چومسكي بالتوليد الرياضي أي قابلية المعادلات الرياضية على توليد قيم لا حدّ لها ولا نهاية [132] ؛ لأنه رأى أن استخدام القياس الرياضي أو الجبري قد يكون أفضل الطرائق لتوضيح معنى (التوليد) . لذلك جعل چومسكيChomsky مصطلح (التوليد) Generation مرادفاً لكلمة (محدد) واشترط التحديد الدقيق لقواعد النحو وظروفها التي تعمل بها .

فلو تأملنا المقدار الجبري أو الدالة الآتية : (2س + 3ص – ع) وأخذ كل متغير من المتغيرات (س ، ص ، ع) عدداً صحيحاً كقيمة له فإن هذه الدالة ستولد عدداً غير محدود من القيم الناتجة [133] . فإذا افترضنا على سبيل المثال أن : س = 3 ، ص = 2 ، ع = 5 ، فإن النتيجة ستكون : 7 ، أما إذا افترضنا أن : س = 1 ، ص = 3 ، ع = 21 ، فالنتيجة هي : –10 ... وهكذا نقوم باستبدال الأرقام للمتغيرات ونحصل على نتيجة مختلفة في كل مرة . فالأعداد (7 ، –10) تنتمي إلى مجموعة القيم التي تولدها الدالة السابقة وهي قيم لا نهائية [134] .

ومن هنا عرّف چومسكي النحو التوليدي بأنه ((النحو الذي يُسقط أية مجموعة معينة من الجمل على المجموعة الأكبر غير المحددة من الجمل التي تكوّن اللغة التي يجري وصفها)) [135] . أما إذا قام إنسان بحل المعادلة الجبرية السابق ذكرها ، وحصل على الجواب الخاطئ ، قلنا : إن ذلك الخطأ يعود إلى انه أخطأ في تطبيق القوانين ، لا إلى القوانين نفسها فهو مثل من أمثلة التصرف الفردي . وبالطريقة نفسها يفهم چومسكي قواعد النحو أيضاً ؛ فيعتقد أنها يجب أن تحدّد تحديداً دقيقاً كما في قوانين الرياضيات . وذلك عن طريق تحديدها بالكفاية اللغوية لمتكلم اللغة التي تعني القدرة اللغوية على التوليد والخلق اللانهائيين ، وان أي خطأ يحصل في الكلام الفعلي كوجود جمل غير نحوية مثلاً يعود إلى الأداء أي تطبيق هذه القواعد ، لا إلى القواعد (الكفاية اللغوية) نفسها [136] .

غير أن علينا أن لا ننسى حقيقة أن ((المتغيرات والأعداد وتطبيقاتها تدخل في نطاق علم الرياضيات ، وتوليد التراكيب وتغيّر مواقع عناصرها يدخل في نطاق علم اللسانيات)) [137] . ولتوضيح الصلة بين اللسانيات وبالتحديد بين النظرية التوليدية التحويلية Transformational generative theory وعلم الرياضيات mathematics نأخذ مثالاً على

---

[128] جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه (رسالة) / 229 .
[129] النظام الاشتقاقي في الجملة العربية (أطروحة) / 17 – 18 .
[130] جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه (رسالة) / 229 .
[131] انفتاح النسق اللساني / 110 .
[132] ينظر : منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث / 45 .
[133] ينظر : چومسكي / 54 – 55 .
[134] ينظر : م . ن . / 55 ، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة / 301 ، والتراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري / 25 .
[135] چومسكي / 54 .
[136] ينظر : م . ن . / 55 ، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة / 301 .
[137] التراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري / 25 .

الجملة لكونها موضع اهتمام النظرية لنرى أنها في العربية تتألف من عنصرين أساسيين هما المسند (م) ، والمسند إليه (م إ) ، ويسميان العمدة ، وعنصر ثالث ثانوي يسميه النحاة الفضلة (فض) . وبحسب نظام العدّ الثنائي يعادل العمدة الرقم (1) ، في حين تعادل الفضلة (الصفر) ، فتكون الجملة رياضياً : كل تركيب يتكون من (م + م إ) متبادلين موقعياً وما زاد عليها من الفضلة فهو (صفر) في قيمته التركيبية لا المعنوية [138] ، وهذا يجعل الجملة في العربية على إحدى الصورتين الآتيتين [139] :

أ- صورة الاتحاد مع البنية الأصل : بأن تتكون الجملة من (م + م إ) نحو : جاءَ زيدٌ ، أو من (م إ + م) نحو : زيدٌ رجلٌ ؛ فهاتان الجملتان تعادلان البنية الأصل (البنية العميقة Deep structure) وتتحدان معها من دون تغيير أو تقدير .

ب- صورة الفناء في البنية : بمعنى أن كل تركيب يمكن أن يُردّ بالإفناء إلى البنية الأصل (البنية العميقة) ، فهو في أصله جملة واحدة مهما كان طوله ، أو تعدد (م أو م إ) فيه . فلنأخذ الأمثلة الآتية [140] :

1- زيدٌ رجلٌ محبوبٌ

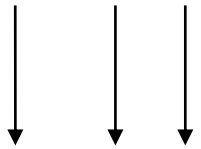

م إ م فض

م إ + م = 1 (وهو البنية الأصل)

فض = صفر (وهو الفضلة)

1 + صفر = 1

وهذا يدلّ على أن بنية الجملة هي (زيدٌ رجلٌ) ، وأما (فض) فأُفنيت في البنية.

2- جاءَ زيدٌ يبتسمُ

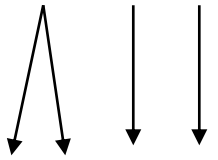

م1 م إ1 م2 م إ2 (الفاعل المستتر)

م2 + م إ2 = فض (لأنه في محل نصب حال)

فض = صفر

---

[138] ينظر : رؤى لسانية في نظرية النحو العربي / 21 - 22 .
[139] ينظر : م . ن . / 22 .
[140] ينظر : م . ن . / 22 - 23 .

∴ م2 + م إ 2 زائدة على بنية الجملة الأصلية (جاء زيد) .

3- جاءَ زيدٌ وهو يبتسمُ

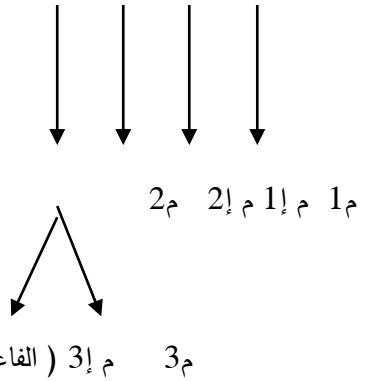

م3 + م إ3 = م2

م إ2 + م2 = فض (لأنه في محل نصب حال)

فض = صفر

∴ م إ2 + م2 زائدة ، وبنية الجملة الأصل هي (جاء زيد) .

ولا بدّ لنا هنا أن نشير إلى أن اللغويين العرب القدامى لم يغفلوا أهمية الاستعانة بعلم الرياضيات في بحوثهم اللغوية ، بل كانوا على وعي بذلك ؛ مثال ذلك دعوة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ (ت 117هـ) وتلامذته إلى مبدأ تعميم القاعدة النحوية وطردها [141] ((فكأنّ هؤلاء النحاة المفكّرين نظروا في عيّنة من كلمات العربية وتراكيبها ، واستخلصوا منها معايير وقواعد يمكن القياس عليها ، وهي معايير مقبولة عقلياً ؛ لأن استقراء كلام العرب الفصيح المحتجّ به كالمحال ، إن لم يكن محالاً ، ومن صفات الجزء أنه يحمل خصائص الكلّ غالباً ، ويصاغ رياضياً كما يلي :

إذا كانت (س) عيّنة من نظام لغوي (ع) ، وله مجموعة القواعد (ج) ، وهي (ل ، م ، ن ...) فإن (س) تمثل هذه القواعد ، ومجموعة قواعد العينة (س) وهي (م ، ن ، ك ...) جزء من مجموعة القواعد (ج) أو هي كلها . وإذا كانت القاعدة (ص) مميتةً للقاعدة (خ) في مجموعة القواعد (ج) ، فإن إحداهما خارج نظام القواعد (ج) ؛ لأن مجموع القواعد (ج) يساوي نظام اللغة الذي من شروطه عدم التناقض .

فتطبيق هذه القاعدة الرياضية أفرز مبدأ طرد القاعدة ، ومبدأ حفظ الشاذّ الذي تكون قاعدته مميتة لقاعدة عامة مطردة غالباً)) [142] . والقاعدة المميتة هي القاعدة التي من غير الممكن أن تجتمع مع قاعدة نافية لها في نظام لغوي واحد ؛ لأن ذلك يؤدي إلى اجتماع الضدين : السالب والموجب [143] ، وهما مصطلحان رياضيان . والعلم الذي تكون قواعده مطّردة يسمى علماً مضبوطاً وهو ما عرف بالعربية أو بصناعة النحو ، ويصدق على علم الرياضيات ؛ فهو من العلوم المضبوطة ؛ لأننا يمكن أن نتحقق من نتائجه فنعرف صدق الجمع (+) بطرح أحد العددين المجموعين من مجموعهما فنحصل على

---

[141] ينظر : رؤى لسانية في نظرية النحو العربي / 15 .
[142] م . ن . / 15 – 16 .
[143] ينظر : رؤى لسانية في نظرية النحو العربي / 40 (الهامش الرابع) .

العدد الآخر ، ونعرف صدق الطرح (−) بإضافة الناتج إلى العدد الأصغر ، فنحصل على العدد الأكبر ، ونعرف صدق عملية الضرب (×) بقسمة الناتج على أحد العددين فنحصل على الآخر ، كما أننا يمكن أن نتحقق من نتيجة عملية القسمة (÷) بضرب المقسوم عليه في الناتج فنحصل على المقسوم [144] .

وتوسعت هذه الأنظار الرياضية فيما بعد على علماء العربية كالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) الذي امتلك عقلاً رياضياً صرفاً ، فاستعمل الرياضيات في أبحاثة المتعلقة بالدلالة اللغوية المعجمية فاكتشف طريقة رياضية بسيطة استطاع بها حصر كلمات العربية رياضياً ، وذلك باستعمال نظرية البدائل الرياضية التي تعني أن عملية ضرب عناصر المجموعة (س) في بعضها يساوي احتمالات أشكالها المختلفة . فعلى سبيل المثال [145] :

لو كانت المجموعة (س) مؤلفة من ثلاثة عناصر هي (ح ، م ، د) فهذا يعني أن لها ستة أشكال هي : (ح ، م ، د) ، (ح ، د ، م) ، (م ، ح ، د) ، (م ، د ، ح) ، (د ، ح ، م) ، (د ، م ، ح) اعتماداً على مضروبها الذي هو : 3×2×1= 6 . وقد كانت (نظرية التبادل الرياضية) منطلقاً للخليل في بناء معجمه (العين) ، كما انه أفاد منها في بحور الشعر التي اكتشفها فيما بعد [146] .

وجدير بالذكر أن النظرية التوليدية التحويلية تتشابه مع طريقة الخليل السابق ذكرها في تقليب مواضع الحروف ؛ ففي طريقة الخليل يتم تقليب مواضع الحروف للحصول على مجموعة من الكلمات التي ينفرد كل منها بمعنى خاص إلى جانب ظهور بعض الكلمات المهملة غير المستعملة في اللغة كما في المثال السابق ذكره . وفي نظرية چومسكي يتم تغيير مواضع الكلمات داخل التركيب الواحد للحصول على دالة جديدة للتركيب ، كما أننا سنحصل في أثناء ذلك على تراكيب لا نحوية أو لا مقبولة بمعنى أنها غير مستعملة في اللغة .

ومثال على ذلك التركيب (كتب محمد الدرس) فانه يشتق منه : (محمد كتب الدرس ، الدرس كتبه محمد ، كتب الدرس محمد ، الدرس محمد كتب) [147] . وهذا يدلّ على أن چومسكي قد أفاد من النحو العربي إذا ما ثبتت حقيقة اطّلاعه عليه.

5- علم الفيزياء physics .

إنّ الطبيعة العلمية التجريبية لعلم اللسانيات كانت من الأسباب المهمة التي جعلته يبتعد عن مسار العلوم الإنسانية بعض الشيء ، ويقترب من مسار العلوم الطبيعية التجريبية التي صبّ اهتمامه فيها واتخذها إطاراً له . وقد أخذت هذه الطبيعة العلمية لعلم اللسانيات شكلها التام والواضح على يد (چومسكي) عندما وضع اللسانيات في إطار رياضي وبيولوجي وفيزيائي بحيث أصبح ليس بإمكان أي دارس أن يختصّ باللسانيات في معهد ماستشوستش للتكنولوجيا في الولايات المتحدة ، إلا إذا كان على إلمام عام بتلك العلوم الطبيعية أي المنطق والرياضيات وعلم الأحياء فضلاً عن (الفيزياء) مدار حديثنا [148] . يقول رومان ياكوبسون : ((إن إعادة التوجّه التدريجي في كل من الفيزياء وعلم اللغة طيلة القرن العشرين قد أبرزت دروساً وقضايا أبستيمولوجية مركزية يبدو أنها مشتركة بين كلا العلمين ، وتستحقّ مناقشة مركّزة)) [149] .

---

[144] ينظر : مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن / 20 – 21 .
[145] ينظر : رؤى لسانية في نظرية النحو العربي / 16 .
[146] ينظر : رؤى لسانية في نظرية النحو العربي / 16 – 17 .
[147] ينظر : التراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري / 43 .
[148] ينظر : قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث / 370 .
[149] الاتجاهات الأساسية في علم اللغة / 120 .

سعت النظرية التوليدية التحويلية – بوصفها نظرية لسانية – إلى أن تجعل من اللسانيات علماً ، فاتخذت من الفيزياء – إلى جانب العلوم الأخرى – مثالاً يُحتذى [150] ؛ إذ إن ما يراه چومسكي هو ((أنْ يتم النظر في قواعد اللغة المعينة تماماً كما ينظر العالِم إلى أي فرع من فروع العلم ؛ وهو يشير إلى أنّ القوانين الصارمة ، التي يفترض أنها قياسية ومطّردة ، تضبط اللغة تماماً كما تضبط قوانين خاصة بحزم ظواهر فيزيائية معينة)) [151] .

الخاتمة

في ختام البحث ، يمكن أن نلخص نتائجه بالآتي ذكره :

– يمكن أن نعدّ العلوم اللغوية كعلم النحو المشرقي العربي والنحو العبري ، من العلوم التي تأثّر بها چومسكي تأثراً مباشراً أو غير مباشر ؛ إذ اختلفت الأقوال في ذلك ، فمنهم من رأى أن چومسكي تأثر بشكل مباشر بالنحو العربي والنحو العبري ويسمون هذا التأثر (أخذاً) في حين عدّ آخرون هذا التأثّر مجرد تشابه في الأفكار واقتراب في العقليات ، وهو ما نراه أقرب صواباً وأنصف حكماً. ويمكن أن نعدّ هذا التأثر بمنزلة الجذور غير المباشرة لنظرية چومسكي بصورة عامة ، والبنية العميقة بصورة خاصة .

– في حين يمكن أن نعدّ العلوم غير اللغوية كالمنطق Logic والفلسفة philosophy وعلم النفس Psychology وعلم الأحياء Biology والرياضيات mathematics والفيزياء physics ، بمنزلة الجذور التي استمد چومسكي فكره منها بشكل مباشر .

المصادر والمراجع

1. الاتجاهات الأساسية في علم اللغة : رومان ياكوبسون ، ترجمة : علي حاكم صالح وحسن ناظم ، المركز الثقافي العربي المغرب، ط1 / 2002.
2. اجتهادات لغوية : د. تمام حسان ، عالم الكتب – القاهرة ، ط1 / 2007 .
3. الأسلوبية والأسلوب : د. عبد السلام المسدّي ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت ، ط5 / 2006 .
4. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : د. نايف خرما ، عالم المعرفة – الكويت ، د. ط. / 1978 .
5. اكتساب اللغة : مارك ريشِل ، ترجمة : د. كمال بكداش ، المؤسسة الجامعية – بيروت ، ط1 / 1984 .
6. الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين (بحث) : د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مجلة المورد – بغداد ، العدد 3 ، المجلد 18 / 1989 .
7. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) : د. ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية – بيروت ، ط2 / 1986 .
8. انزياح اللسان العربي الفصيح والمعنى : د. عبد الفتاح الحموز ، دار عمار – الأردن ، د. ط. / 2008 .
9. انفتاح النسق اللساني دراسة في التداخل الاختصاصي : د. محي الدين محسَّب ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت ، ط1 / 2008 .
10. البحث الدلالي في كتاب سيبويه : د. دلخوش جار الله حسين دزه يي ، دار دجلة – الأردن ، ط1 / 2007 .
11. التراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري : إسماعيل حميد حمد أمين ، دار الراية – الأردن ، ط1 / 2010 .
12. التعليل النحوي في الدرس اللغوي القديم والحديث : خالد بن سليمان بن مهنا الكندي ، دار المسيرة – الأردن ، ط2 / 2009 .

[150] ينظر : مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / 333 .
[151] قضايا التشكيل / 8 .

13. الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني : د. دلخوش جار الله حسين دزه يي ، دار دجلة – الأردن ، ط1 / 2008 .
14. جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه (رسالة ماجستير) : جابر عبدالأمير جبار التميمي ، كلية الأداب – جامعة بغداد / 2003 .
15. الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية چومسكي التوليدية التحويلية : د. معصومة عبد الصاحب ، دار غريب – القاهرة ، د. ط . / د. ت .
16. چومسكي : جون لاينز ، ترجمة : بيداء علي العبيدي ونغم قحطان العزاوي ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 / 2001 .
17. حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية والتحويلية : لقاء مع چومسكي أجراه د. مازن الوعر : مجلة اللسانيات – الجزائر ، ع 6 / 1982 .
18. الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية (بحث): بنكيران أحمد الطيب ، مجلة عالم الفكر – الكويت ، المجلد 25 ، العدد 3 / 1997 .
19. خواطر هيكلية في كتاب سيبويه وكتب من جاء بعده من النحاة (بحث) : المستشرق (هاينس غروتسفولد) ، نشر في حواريات الجامعة التونسية ، العدد 18 /1980 .
20. دراسات وتعليقات في اللغة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، د. ط. / د. ت.
21. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) قراءة وتعليق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، د. ط. / د. ت.
22. رؤى لسانية في نظرية النحو العربي : د. حسن خميس الملخ ، دار الشروق – الأردن ، ط1 / 2007 .
23. سوسيولوجيا اللغة : بيار أشار ، تعريب : د. عبد الوهاب تزو ، منشورات عويدات – بيروت ، ط1 / 1996 .
24. العربية والبحث اللغوي المعاصر : د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، منشورات المجمع العلمي – بغداد ، د. ط. / 2004 .
25. فلسفة العلم : صلاح قنصوة ، مكتبة الأسرة ، د. ط. / 2002 .
26. في بناء الجملة العربية : د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار القلم – الكويت ، ط1 / 1982 .في علم اللغة التقابلي دراسة تطبيقية : د. أحمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، د . ط . / 1989 .
27. في فلسفة اللغة : د. محمود فهمي زيدان ، دار النهضة العربية – بيروت ، د. ط. / د. ت.
28. في اللسانيات ونحو النص : د. إبراهيم محمود خليل ، دار المسيرة – الأردن ، ط2 / 2009 .
29. في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق) : د. خليل أحمد عمايرة ، عالم المعرفة – السعودية ، ط1 / 1984 .
30. قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مدخل : د. مازن الوعر ، دار طلاس – دمشق ، ط1 / 1988 .
31. قضايا التشكيل في الدرس اللغوي – في اللسان العربي : د. فيصل إبراهيم صفا ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، ط1 / 2010 .
32. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : د. محمد عبد المطلب ، الشركة العالمية للنشر، لونجمان– القاهرة ، ط1 / 1995م .
33. اللسانيات والفكر الجدلي لدى المتكلم (بحث) : د. محمد عبد الجبار العزاوي ، مجلة كلية الآداب – بغداد ، العدد 89 ، ج1 / 2009 .
34. مباحث تأسيسية في اللسانيات : د. عبد السلام المسدّي ، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت ، ط1 / 2010 .
35. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : د. نور الهدى لوشن ، المكتب الجامعي الحديث ، د. ط. / 2008 .
36. المرايا المقعرة : عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة – الكويت ، د. ط. / 2001 .
37. مرجعيات معرفية في النظرية اللسانية التوليدية (بحث) : د. محمد الحاج غاليم ، نشر ضمن كتاب : المرجعيات في النقد والأدب واللغة الصادر عن مؤتمر النقد الدولي (الثالث عشر : اربد 2010) المجلد الثاني ، عالم الكتب الحديث – الأردن ، ط1 / 2011 .

38. مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن : د. تمام حسان ، عالم الكتب – القاهرة ، ط1 / 2010 .
39. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري المصري (ت761 هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني – القاهرة ، د. ط. / د. ت.
40. المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى : أبو حامد الغزالي ، مكتبة الجندي – القاهرة ، د. ط. / 1968 .
41. ملامح النظرية التحويلية في الدراسات البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني 471 هـ (رسالة ماجستير) : محمود شاكر محمد ، كلية الآداب – جامعة بغداد / 2005 .
42. من الأنماط التحويلية في النحو العربي : د. محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب – القاهرة ، د . ط . / 2006 .
43. مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : د. نعمة رحيم العزاوي ، منشورات المجمع العلمي – بغداد ، د . ط . / 2001 .
44. مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم چومسكي : بريجيته بارتشت ، ترجمة وتعليق : د. سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار – القاهرة ، ط1 / 2004 .
45. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد : د. أحمد المتوكل ، دار الأمان – الرباط ، ط1 / 2006 .
46. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : د. علي زوين ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 / 1986 .
47. المولَّد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطوّرها بعد الإسلام : د. حلمي خليل ، دار النهضة العربية – لبنان ، د . ط . / د . ت .
48. النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج : د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، د . ط . / 1988 .
49. النظام الاشتقاقي في الجملة العربية (اطروحة دكتوراه) : أمين لقمان محمد أمين الحبار ، كلية التربية – جامعة الموصل / 2004 .
50. النظرية اللغوية العربية الحديثة : د. جعفر دك الباب ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، د. ط. / 1996 .
51. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : د. نهاد الموسى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، ط1 / 1980 .
52. نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية (دراسات تطبيقية) : د. حسام البهنساوي ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ، ط1 / 2004 .
53. عيد ميلاد چومسكي –WWW. hmozainy.Jeeran.com

54. Bertalanffy : L. v. General system theory . (Allen Lane The penguin press , 1968 .
55. Chomsky : Language and mind , New –York , 1968.
56. Chomsky : The logical structure of linguistic theory , New – york and London , plenum , 1975.
57. Katz : language and other abstract objects . Basil Blackwell – oxford , 1981 .